

الفصل الأول

فصل مصر في القرآن والسنة

obeikandi.com

فضل مصر في القرآن والسنة

مصر في القرآن :

لقد ورد اسم مصر في القرآن الكريم في العديد من الآيات التي ذكر فيها اسم مصر، كما ورد في العديد من الآيات التي لم يذكر فيها اسم مصر، ومن الآيات التي ورد فيها ذكر مصر هي:

١. قال تعالى :

﴿ ... أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ^١ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ^٢ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِعَايَةِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ^٣ ... ﴾^(١)

نزلت هذه الآيات في بنى إسرائيل عندما أطاعوا الله وعبدوه ودعوه ،
فأنزل عليهم من أطيب الطعام وهو المن والسلوى ولكنهم لما عصوا وضلوا ولم
يعرفوا فضل الله عليهم وما أنزل عليهم من هذه الموائد المباركة ؛سئلوا الله ^{عَلَيْهِمْ}
أن ينزلوا مصر فإن فيها من هذه الأطعمة الذين يسألون الله إليها لأنهم
قالوا :

﴿ ... لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدٍ^٤ ... ﴾^(٢)

١- سورة البقرة : من الآية ٦١ .

٢- سورة البقرة : من الآية ٦١ .

وقد أخبرهم نبي الله سيدنا موسى أن الذي هم فيه من نعيم أفضل والذي يطلبونه هو أدنى وأقل وأخبث ، وذلك لقول الله تعالى في نفس الآية :

﴿ ... أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ... ﴾^(١).

والطعام الأدنى هو العدس والبقول والبصل والثوم وكان هذا الحوار بين نبي إسرائيل و نبي الله موسى لأن بنى^(٢) إسرائيل قد ورثوا مصر وذلك لقول الله تعالى: ﴿ تَذَلِّكَ وَأَوْرَثْنَهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٣).

٢. وقال تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٤).

لقد أمر الله ﷻ نبي الله موسى وأخيه نبي الله هارون بأن يتخذوا من أرض مصر سكناً وأن يقيموا على أرضها الصلاة وأن يقيموا على أرضها المساجد^(٥) حتى تكون مقصداً لكل من فتح الله قلبه وعقله للإيمان ، وذلك لأن فرعون قد أمر من قبل بتخريب المساجد وهدمها ، فأمر الله موسى وأخيه ومن آمن معهم بأن يقيموها في منازلهم، وتكفل الله بحفظهم وصد شرور عدوهم عنهم .

١- سورة البقرة من الآية ٦١ .
٢- تفسير مفاتيح الحب ٢م ٤٢ .
٣- سورة الشعراء من الآية ٥٩ .
٤- سورة بؤس من الآية ٨٧ .
٥- تفسير مفاتيح الحب ٨م ٤٢٧ .

٣. وقال تعالى على لسان عدو الله فرعون :

﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ... ﴾ (١).

فعندما ادعى فرعون مصر أنه إله الأرض بعد أن أفسد فيها. أرسل الله إليه سيدنا موسى عليه السلام وأيده بالمعجزات التي جعلت من فتح الله قلبه للإيمان أن يؤمن به ولكن فرعون أخذته العزة بالإثم وادعى أنه رب وإله هذه الأرض وأن له ملك مصر لأنها تجري من تحته الأنهار أي في ملكه هذا لأن دلتنا نيل مصر كانت قديماً سبع فروع بدل من فرعى (دمياط - ورشيد) الآن وظل يكابر إلى أن أخذه الله بالعذاب إلى أن غرق في البحر هو ومن معه كما سيأتي الحديث عنه بعد ، وكان من هذه السبع فروع أربعة منهن تجري تحت قصره وهي (نهر الملك - نهر طولون - نهر دمياط - نهر تنيس) (٢).

٤. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَادًّا ... ﴾ (٣).
فقد اشترى ملك مصر (قطفير) (٤).

وهو عزيز مصر في هذا الوقت وكان على خزائنها ملك مصر "الريان بن الوليد" أحد ملوك العماليق الذين كانوا يملكون مصر في هذا الزمن زمن

١- سورة الزخرف : من الآية ٥١ .

٢- تفسير مفاتيح الغيب ص ١٠٨ م ١٤ .

٣- سورة يوسف : من الآية ٢١ .

٤- تفسير مفاتيح الغيب ص ١٦ م ٩ .

يوسف وقد اشترى يوسف بعشرين درهماً فقط من القافلة التجارية التي أخرجت يوسف من البئر الذي وضعه إخوته فيه . وقد أوصى هذا العزيز زوجته بإكرامه لما وجد عليه من الصلاح وما على وجهه من الإيمان مما كان سبباً في حلول نعم الله عز وجل على سيدنا يوسف وجلس على عرش مصر كما سيأتي فيما بعد .

٥ . وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِينٌ ﴾ (١) .

و عندما دخل سيدنا يعقوب وأولاده وخالتهم على سيدنا يوسف وهو جالس على عرش مصر وقد تحققت رؤيا يوسف وهو صغير عندما رأى أن الشمس والقمر وإحدى عشر كوكباً قد سجدوا له . والسجود هنا المقصود منه هو الدخول تحت طاعته وهو تحت عرش مصر . وهناك بعض الآيات لم يرد فيها اسم مصر ولكن وردت بعبارات أستدل العلماء وأهل التفسير على أن هذه الآيات نزلت في أهل مصر نذكر منها :

٦ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ ... ﴾ (٢) .

٧ . وقوله تعالى :

﴿ ... وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (٣) .

١- سورة يوسف : الآية ٩٩ .
٢- سورة يونس : من الآية ٩٣ .
٣- سورة المؤمنون : من الآية ٥٠ .

وهو سيدنا عيسى وأمه السيدة مريم عليهم السلام .

٨. وقوله تعالى أيضاً: ﴿ وَأَوْزَيْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ

مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ... ﴾ (١)

وهم بنو إسرائيل الذين ورثوها بعد هلاك فرعون .

٩. وقوله تعالى أيضاً:

﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٠﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ (٢)

١٠. وقوله تعالى أيضاً:

﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٢﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿١٣﴾ وَنَعْمَةٍ

كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿١٤﴾ كَذَلِكَ وَأَوْزَيْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (٣)

١١. وقوله تعالى أيضاً:

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً

وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿١٦﴾ وَنُفَعِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ

وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَدِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٤)

المقصود هنا أهل مصر الذين استبعدهم فرعون .

١٢. وقوله تعالى :

﴿ يَنْقُومِ آدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا

عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٥)

١- سورة الأعراف : من الآية ١٣٧ .

٢- سورة الشعراء : الآيات ٥٧ : ٥٨ .

٣- سورة النخيل : الآيات ٢٥ : ٢٨ .

٤- سورة القصص : الآيات ٥ : ٦ .

٥- سورة المائدة : الآية ٢١ .

١٢. وقوله تعالى:

﴿ يَنْقُومِ أَكْثَرُ الْمَلِكِ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾^(١)

الملك على أرض مصر الذي يمتلكه فرعون مصر ويستبعد أهلها وهم أحق بهذا منه.

١٤. وقوله تعالى:

﴿ ... وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحَسَنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾^(٢)

١٥. وقوله تعالى:

﴿ ... أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرُكَ وَآلِهَتَكَ ... ﴾^(٣)

المقصود بالأرض: هي أرض مصر الذي يعيش عليها الفرعون ويفسد فيها وعليها.

١٦. وقوله تعالى:

﴿ ... أَجْعَلِنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾^(٤)

١٧. وقوله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ... ﴾^(٥)

١٨. وقوله تعالى:

﴿ ... رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾^(٦)

- ١- سورة غافر: من الآية ٢٩.
- ٢- سورة الأعراف: من الآية ١٣٧.
- ٣- سورة الأعراف: من الآية ١٢٧.
- ٤- سورة يوسف: من الآية ٥٥.
- ٥- سورة يوسف: من الآية ٥٦.
- ٦- سورة يونس: من الآية ٨٨.

١٩. وقوله تعالى:

﴿ ... عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ... ﴾^(١)
من بعد فرعون على مصر.

٢٠. وقوله تعالى:

﴿ ... أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾^(٢).

٢١. وقوله تعالى:

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ... ﴾^(٣).

جاء من أرض منف وهي إحدى مدن الجيزة بمصر.

٢٢. وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ... ﴾^(٤)
أرض مصر.

٢٣. وقوله تعالى:

﴿ ... فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ ... ﴾^(٥).

لن يغادر أرض مصر.

٢٤. وقوله تعالى:

﴿ ... إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ... ﴾^(٦).

١- سورة الأعراف : من الآية ١٢٩ .

٢- سورة غافر : من الآية ٢٦ .

٣- سورة القصص : من الآية ٢٠ .

٤- سورة القصص : من الآية ٤ .

٥- سورة يوسف : من الآية ٨٠ .

٦- سورة القصص : من الآية ١٩ .

٢٥. وقوله تعالى:

﴿ ... كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فُطِلْتُ ... ﴾^(١).

٢٦. وقوله تعالى:

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَن نَّفْسِهِمْ ... ﴾^(٢).

نسوة من أهل مصر من نساء الوزراء ورجال القصر في مصر.

٢٧. وقوله تعالى:

﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَانَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ ﴾^(٣).

الطور أحد جبال أرض مصر.

٢٨. وقوله تعالى:

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ ﴾^(٤).

الطور بأرض سيناء بمصر.

٢٩. وقوله تعالى:

﴿ ... فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ... ﴾^(٥).

كان هذا التجلي لجبل الطور بسيناء بمصر.

١- سورة البقرة : من الآية ٢٦٥ .

٢- سورة يوسف : من الآية ٣٠ .

٣- سورة الطور : الآيات ١ : ٢ .

٤- سورة التين : الآيات ١ : ٢ .

٥- سورة الأعراف : من الآية ١٤٣ .

٣٠. وقوله تعالى:

﴿ ... قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَٰكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي ... ﴾^(١).

٣١. وقوله تعالى:

﴿ ... فَأَوْقَدْ لِي يَنْهَمْنُ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَل لِي صَرْحًا ... ﴾^(٢).

كان بناء هذا الصرح داخل ملك فرعون وفرعون ملك مصر.

٣٢. وقوله تعالى:

﴿ ... يَنْهَمْنُ ابْنَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ ﴾^(٣).

وكان هذا الصرح بجوار قصر فرعون.

٣٣. وقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا آتِيحُ حَتَّىٰ ٢ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾^(٤).

ومجمع البحرين عند التقاء بحر الروم وبحر الصين المعروف قديمًا

بمدينة الفرما ومدينة القلزم عند مدينة السويس.

١- سورة الأعراف: من الآية ١٤٣.

٢- سورة القصص: من الآية ٣٨.

٣- سورة غافر: من الآية ٣٦.

٤- سورة الكهف: الآية ٦٠.

مصر في السنة النبوية :

يقول عمرو بن العاص سمعت رسول الله ﷺ يقول " إنا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا منها جنداً كثيراً ذلك الجند خير أجناد الأرض فقال أبو بكر الصديق. ولم يا رسول الله ؟ قال: لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة ".
وقال رسول الله ﷺ " إذا فتحتم مصر . فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمةً ورحماً . فقيل : ما هو الرحم يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ : هاجر أم إسماعيل منهم " .

وعن أم المؤمنين أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ في قبض مصر " إنكم ستظهرون عليهم ويكونوا لكم عدة وأعواناً في سبيل الله " .
وقال رسول الله ﷺ " أنكم تقدمون على قوم جعد رؤسهم فاستوصوا بهم خيراً فإنهم قوة لكم وإبلاغ إلى عدوكم بإذن الله " .
وعن أبي ذر الغفاري قال : قال رسول الله ﷺ " إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط . فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً " .

وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال بعد وفاة ابنه إبراهيم وهو طفل رضيع بن ثمانية عشرة شهراً " لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن القبط " ^(١) .

تسمية مصر بمصر

ورد أن مصر كانت تسمى في الدهر الأول (زجله) وهي من المزاجلة وقد ذكرها المقرئى تحت اسم (جزلة).

وقيل أنها سميت بمصر نسبة إلى مصر إيم بن مراكثيل بن دوابيل بن عزياب بن آدم ^(١). وسميت بمصر الأول.

ثم سميت بعد طوفان نبي الله نوح بمصر نسبة إلى مصرايم بن حام بن نوح ^(٢).

وقيل معنى (مصر) : هو الحد من الحدود أي المعالم المعروفة للشيء الذي يباع ويشترى.

وذكرها المسعودي في مروج الذهب ومعناها القطر وجمعها أقطار أي أقطار وبلاد.

وسميت بعد الفتح الإسلامي بالفسطاط ^(٣). نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص (وهى الخيام) التي أقيمت لسكن الجنود الفاتحين لمصر وقد بنى الناس بيوتًا حول هذه الفسطاط فسميت بالفسطاط. وكان ذلك مكان القاهرة القديمة ثم بنى المسجد ورفعت الفسطاط بعد أن أقيم العديد من المباني والمنازل في هذا المكان.

١- مصر ٩١ .
٢- البداية والنهاية ص ٩٨ م ٨٠ .

فتح مصر

كانت مصر قبل الفتح الإسلامي تحت الحكم الروماني وبعد أن فتحت الجيوش الإسلامية العديد من مدن وبلاد الشام وكان هذا الفتح منذ عصر النبوة عندما جهز رسول الله ﷺ جيش مؤته بقواده الثلاثة الذين استشهدوا "جعفر بن أبي طالب . وعبد الله بن رواحه . وزيد بن حارث " وتولى قيادة الجيش بعد ذلك " خالد بن الوليد " رضي الله عنه . ثم توالت الفتوحات لبلاد الشام في عهد الصديق أبي بكر رضي الله عنه . ثم جاءت خلافة عمر بن الخطاب .

فعرض عمرو بن العاص داهية العرب على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتح مصر ، وذلك لأن عمرو بن العاص كان من أشهر وأكبر تجار المسلمين في هذا الوقت وكان ينتقل من بلد إلى بلد ، وكان أكثر الناس علماً بطباع أهل البلاد بما أعطاه الله من العقل والحكمة . فعرض عمرو بن العاص على أمير المؤمنين وأخليفة الراشد عمر بن الخطاب فرفض هذه الفكرة لأن جيوش المسلمين ما زالت في بلاد الشام تواصل التذريعات ، ولكن عمرو بن العاص لم يبتسئ فعرض الفكرة على سيدنا عمر بن الخطاب عام بعد عام . وما زال سيدنا عمر بن الخطاب قلقاً فما كان من دهاء عمرو بن العاص إلا أنه نكر سيدنا عمر بن الخطاب بما قامه رسول الله ﷺ من النبوءات بفتح مصر^(١) . وذكر حديث رسول الله الشريف . قائلًا .

١- سير اعلام النبوة - ص ٢٤٠٢ .

قال رسول الله ﷺ " إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا منها جنداً كثيراً
فذلك خير أجناد الأرض . فقال الصديق . ولم يا رسول الله ؟ قال رسول
الله ﷺ . لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم الدين . "

فما كان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلا أنه جمع الصحابة كما كان يفعل
رسول الله ﷺ . وعرض عليهم الأمر مشاورهم في فتح مصر في هذه الظروف التي
ما زال جيش المسلمين أكثر بلاد الشام .

وكان رأى سيدنا عمر بن الخطاب يتخوف من هذا الفتح لأن عمرو بن
العاص به بعض التهور وخشي أن يضر هذا التبهر بالمسلمين في هذا الوقت .

وما زال عمرو بن العاص يذكر من أقوال رسول الله ما بشر به رسول
الله بفتح مصر إلى أن وافق سيدنا عمر بن الخطاب على هذا الفتح وجهز
أربعة آلاف من الجنود المسلمين استعداداً لفتح مصر . وأوصى سيدنا عمر بن
الخطاب عمرو بن العاص في هذا الفتح بأهل مصر خيراً لقول رسول الله ﷺ
" استوصوا بالتقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً ^(١) .

رصار جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص فتح مصر ، وبعد أن
خرج عمرو بن العاص بجيش المسلمين بعدة أيام أرسل عمر بن الخطاب
برسالة إلى عمرو بن العاص رسالة يقول له فيها " إن لم تصل إلى مصر فعود
إلى المدينة وإن كنت وصلت إليها فسر على بركة الله ﷻ . "

١- البداية والنهاية ص ٧٩٦

وكانت هذه الرسالة ذكاء ودهاء من عمر بن الخطاب فإذا كان الأمر صعباً ولم يصل عمرو بن العاص بالجيش إلى مصر فعليه أن يعود ويؤجل هذا الفتح وإن كان وصل إليها بعد هذه الأيام القليلة عليه أن يواصل السير فالأمر بفضل الله سهل ويسير.

وقد وصلت رسالة سيدنا عمر بن الخطاب إلى قائده عمرو بن العاص وهو على مدخل مصر عند مدينة (رفح) ^(١). سيناء من أرض مصر وواصل عمرو بن العاص السير إلى أن وصل إلى مدينة المساعيد وذلك كان مساء عيد الفطر ^(٢). فنزل بالجند ليستريحوا قائلاً لهم (المساء عيد) فسميت هذه المدينة بالمساعيد وكان هذا الفتح الإسلامي لمصر في عام ٢١هـ من ربيع الأول ٦٤٠م. وكان بداية سير جيش المسلمين من المدينة المنورة ثم الجابية. ثم غزوة بفلسطين. ثم رفح بسيناء مصر ثم المساعيد. إلى أن وصل إلى حصن بابلين مقر الحكم البيزنطي الروماني وقد كان عدد المسلمين في هذا الفتح أربعة آلاف ومن الذين كانوا مع عمرو بن العاص، الزبير بن العوام، وبشر بن أرطاة، وخارجة بن حذافة، وعمير بن وهب الجمحي، ولما وصلوا عند حصن بابلين لقبّتهم أحد كبار الأساقفة النصارى وهو (أبو مريم) ومعه (أبو مريم).

ثم طلب عمرو بن العاص هؤلاء الأساقفة أبو مريم وأبو مريم رهبان هذه البلاد ^(٣)

١- مصر ص ١١٧ .

٢- دهة العرب ٣٨ .

٣- البداية والنهاية ص ٧٩٦ .

فلما أتيا إليه قال لهما عمرو بن العاص : أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا : إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به وأمرنا به محمد ﷺ وأدى إلينا كل الذي أمر به الأعدار إلى الناس . فنحن ندعوكم إلى الإسلام . فمن أجابنا إليه فمثلنا ، ومن لم يجيبنا عرضنا عليه الجزية ، وبذلنا له المنعة وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا منكم ، وأن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة .. ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيراً ، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً . لأن لهم رحماً وذمة ، فقالوا : " قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء معروفة شريفة . كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل (منف) والملك فيهم فأرسل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واعتربوا فلذلك صارت إلى إبراهيم ﷺ وحقاً به وأهلاً أمننا حتى نرجع إليك " ، فقال عمرو بن العاص : (إن مثل لا يخدع ولكني أؤجلكم ثلاثاً لتتنظروا ولنناظر قومكما وإلا نأجزنكم قالا زدنا ، فزادهم يوماً فقالا زدنا ، فزادهم يوماً فرجعا إلى المقوقس فأمر أربطون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم . فقالا لأهل مصر : أما نحن فسنجتهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم ، وقد بقيت من المهلة أربعة أيام ، ولكن العقلاء من أهل مصر قالوا كيف نقاتل قوماً قاتلوا كسرى وقيصر من قبل ؟

وقد غلبوهم ، ولم يستجب أحد لأربطون الروم في ذلك العناد فما كان من الأربطون إلا أنه قتل من أهل مصر المخالفين لرأيه .

مما ظهر للمسلمين أن هذا الأرطبون يماطل في الأجل فما كان من عمرو بن العاص في اليوم الرابع من الأجل إلا أنه نزل بجيشه وحاصر مدينة عين شمس وظل جيش المسلمين يحاصر حصن بابلين ثلاثة شهور كاملة ؛ لما عليه هذا الحصن من القوة وكثرة جنوده واستبسالهم ؛ مما جعل عمرو بن العاص يرسل إلى عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة يطلب المدد فما كان من عمر بن الخطاب أن يرسل له جنديًا موحدًا فالجنود ببلاد الشام ، فما أرسل إليه الآلاف من الجنود ولكن أرسل إليه رجل واحد (هو القعقاع بن عمرو) فلما وصل القعقاع بن عمرو إلى عمرو بن العاص بمصر عند حصن بابلين عرضوا عليه الأمر فما كان منه إلا أنه قال: (لن يظهر عليكم عدوكم إلا أنكم تركتم شيئًا من سنة رسول الله ﷺ) .

فلما نظروا في ذلك الأمر وجدوا أنهم لم يستخدموا (السواك) وقد أوصى رسول الله ﷺ به لقوله الشريف (السواك مطهرة للنفوس ومرضاة للرب) واستخدام كل جيش المسلمين فما كان من هذا الأمر إلا أن قذف الله في قلوب جند الروم إلا أنهم خافوا من المسلمين وقالوا : " أنهم يسنون أسنانهم لياكلونا " .

وكان ذلك واحد من أسباب نصر المسلمين على الروم وفتح عمرو بن العاص لها .

ثم صعد بعد ذلك الصحابي الجليل الزبير بن العوام حصن بابلين بعد أن تسلل إلى أعلى دون أن يراه أحدًا من الرومان وبعد أن أستقر على أعلا الحصن أدن آذانه للصلاة وهنا خاف جند الرومان وظنوا أن المسلمون دخلوا الحصن واستحوذوا عليه بالكامل .

وفروا هارين واستسلم الباقون . وهكذا تم فتح هذا الحصن أكبر حصن الرومان وفتحت مصر وبعدها الإسكندرية عاصمة مصر في هذا الوقت وفتحها عمرو بن العاص على الجزية في الأول من المحرم من عام ٢١هـ الموافق العاشر من ديسمبر من عام ٦٤١م، وقد أعطى عمرو بن العاص عهداً لأهل مصر هذا نصه :

نص عهد عمرو بن العاص لأهل مصر

بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلابهم . وبرهم ويحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوبة ، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما حق لصونهم . فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة وإن نقص نهرهم من غايته ؛ رفع عنهم بقدر ذلك ومن سخل في صلحهم من الروم والنوبة ، فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبى وأختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا ، عليهم مما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم . على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمة المؤمنين وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا

فرسًا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة". وقد شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب^(١) (وردات وحضر) وقد سخل كل أهل مصر في هذا الصلح لما وجدوه من سماحة الإسلام ومكارم الأخلاق.

وهنا جاء راهبا مصر أبو مريم وأبو مريام فأمر عمرو بن العاص بطردهم لأنهم جاءوا يطلبون السبايا والغنائم ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب أرسل برسالة إلى عمرو بن العاص يقول فيها: " أنه ما أخذ في الخمس أيام الهدنة يرد إلى أصحابه وأن ما أخذ خلال القتال والثلاث شهور لا يرد وهو غنيمة حرب وسبايا توزع على جيش المسلمين".

ثم أرسل عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالأخماس إلى المدينة المنورة.

وظل عمرو بن العاص على حكم مصر وأقام بها مسجدًا ومقياسًا للنيل والعديد من الإصلاحات كما أنه قد صادفته عجيبة لم تصدق أحد من قبل وهي قصة نيل مصر والتي سيأتي الحديث عنها فيما بعد.

١ - الدداية والنهاية ص ٧٩٧

أعمال عمرو بن العاص في مصر

١. مقياس النيل :

لقد كان لنيل مصر مكانة كبيرة عند أهل مصر لما له من فضل بعد الله ﷻ في أعمار أرض مصر وزراعتها وقد ورد ذكره في القرآن الكريم على لسان فرعون .

(أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي)

وقوله تعالى : ﴿ ... فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ... ﴾ ^(١)

والعديد من الآيات الأخرى وقد قدس الفراعنة هذا النهر العظيم وجعلوا له إله تقديسي وتعظيم له هو الإله (حابي) والنيل له العديد من الأسماء منها (النهر السماوي - أيجيببتوس - الفيض - اليم - بشهكور - بي يوما) ^(٢)

وقيل أن نهر النيل هو أحد الأنهار التي تنبع من الجنة لقول بن عباس ﷻ قال : (أنزل الله تعالى من الجنة إلى الأرض خمس أنهار هي : سيحون . جيحون . دجلة . الفرات . النيل) .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : " رفعت إلى سدرة المنتهى وإذا بها أربعة أنهار : نهران ظاهران . ونهران باطنان . فأما الظاهران فهما النيل والفرات) ^(٣)

وكان من أول ما أهتم به عمرو بن العاص بعد فتحه لمصر هو إقامة مقياس للنيل ليعرف من خلال هذا المقياس مدى زيادة الماء ونقصه في النيل

١- سورة طه : الآية ٣٩ .
٢- معجم البلدان ص ٨٦٢م ٤ .
٣- النيا في المكتبة العربية ص ٢٠ .

ليحدد الخراج من خلال الزيادة والنقصان حتى يكون الخراج نسبة معينة من مقدار ما تخرجه الأرض .

وقد اهتمت الحضارات السابقة بهذا المقياس لأسباب أخرى لم يكن منها ما اهتم به المسلمون فقد اكتشف مقياس للنيل شرقي (بركة قارون) قد أقامه الفراعنة من قبل^(١) كما عثر على بعض المقاييس للنيل منذ عهد بطليموس الثاني كما أقيم للنيل مقياساً في عهد سيدنا يوسف بن يعقوب عليه السلام بمدينة (أخميم)^(٢)

ومن المقاييس التي أقامها عمرو بن العاص على النيل: مقياس النيل بمدينة أسوان ، ومقياس النيل بدندرة ومقياس النيل بمدينة أثينا ، ومقياس بمدينة حلوان.

وصار المسلمون على هذا النظام في العصر العباسي والأموي من قبل في تحصيل الخراج من أهل مصر.

٢. أقام عمرو بن العاص :

أول مسجد في مصر وهو ما زال معروفاً بمسجد الفتح أو مسجد عمرو بن العاص، وذلك المسجد كان أول ما أقيم على أرض مصر بعد الفتح الإسلامي ، وذلك إقتداء برسول الله ﷺ عندما دخل المدينة المنورة ، فأقام المسجد ليكون بيتاً للعبادة ومدرسة للتعليم ومجلساً للشورى .

١- نهر النيل .

٢- النيل في المكتبة العربية ١٤٧

٣. وأقام عمرو بن العاص العدل ونظم القضاء

وأقام السبل على الطرق لحاجة الكثيرين من الناس إلى ذلك ، ولم يغدر بأحد فقد ترك الكثيرين من العرب^(١) الرومان في مناصبهم ما داموا يخلصون في أعمالهم .

٤. خليج أمير المؤمنين (٢)

اهتم عمرو بن العاص بجميع الأحوال الإدارية في مصر وغيرها فقد اهتم أيضًا بالجانب الإقتصادي فقام نحو خليج (أمير المؤمنين) وهذا الخليج كان يربط بين البحر الأحمر ونهر النيل من عند بابليون ويمر بمدينة عين شمس ثم يمر بوادي الطيلات ثم يتجه جنوبًا إلى بحيرة التمساح ، وعرف هذا الخليج بقناة البحر الأحمر التي كانت تخرج من أحد فروع النيل المعروف وقتئذ بالفرع (البيلوزي) وقد حاول أحد الملوك الفراعنة حفر هذا الخليج من قبل وكان ذلك عام ٥٩٣هـ قبل الميلاد ، إلا أن هذا الأمر لم يتم بسبب الفكرة الخاطئة بأن مستوى البحر الأحمر أعلى من مستوى النيل مما يضر بماء النيل .

ولم يتم حفر هذا الخليج إلا بعد الفتح الإسلامي لمصر في عهد عمر بن الخطاب عندما فتح مصر عمرو بن العاص وكان سبب حفر هذا الخليج هو ما حدث من مجاعة ببلاد الحجاز وكان هذا الخليج ليكون معبرًا وممرًا مائيًا لوصول القوافل التجارية من مصر إلى بلاد الحجاز ، وقد تم حفر هذا الخليج عام ٢٣هـ الموافق لعام ٦٤٣ ميلادية ثم وصلت السفن المحملة بالبضائع من مصر إلى بلاد الحجاز من خلال هذا الخليج خليج أمير المؤمنين .

١- دهة العرب ص ٤٣ .

٢- النيل في المكتبة العربية ١٢٧

عمرو بن العاص والي مصر

بعد أن فتح الله مصر على يد عمرو بن العاص في عهد سيدنا عمر بن الخطاب عام ٥٢٠هـ - ٦٤٠ ميلادية ، ظل عمرو بن العاص واليًا على مصر بأمر من سيدنا عمر بن الخطاب وأقام بها العديد من الإصلاحات كما ذكرنا بعضًا منها وبعد أن فتح مدينة الإسكندرية أخذ يرسل السرايا إلى البلاد المجاورة لفتحها مثل مدينة (طبرق) الليبية عام ٦٤٣ ميلادية ، ومدينة طرابلس ، فكانوا يفتحون من البلاد ما يفتحون ويدخل أهلها في الإسلام والبعض يصلحون المسلمون على رفع الجزية، وكان يخرج بنفسه على رأس هذه الجيوش العسكرية الإسلامية مثل مدينة (العرافة- سبرة) وكان يفتحها بحكمته وخبرته العسكرية . إلى أن أعلنت العديد من القبائل في هذه المدن دخولها في الإسلام راضية مرضية ، وواصل عقبة بن نافع أحد كبار قادة جيش عمرو بن العاص الفتوحات الإسلامية لبلاد أفريقيا مما مهدت الطريق بعد ذلك إلى فتح المدن الإفريقية ، وبلاد المغرب العربي . وبلاد الأندلس ، فيما بعد ، وظل عمرو بن العاص واليًا على مصر إلى أن عزله سيدنا عثمان بن عفان عن ولاية مصر بسبب بعض شكوى أهل مصر منه ، وولى ولاية مصر من بعده للصحابي الجليل (عبد الله بن أبي السرح) الذي كان والي صعيد مصر من قبل وزاد الخراج في عهد ولايته في عام واحد مليون دينار وكان ذلك عام ٣٤هـ. إلا أن أهل مصر أخذوا يصرخون لسيدنا عثمان بن عفان أن يعيد إليهم عمرو

بن العاص واليًّا عليهم مرة أخرى خصوصًا بعد أن حاول الروم شن هجومهم على مصر بعد أن جمعوا شملهم ، وقد سمعت شكواهم فعاد عمرو بن العاص يدافع عن مصر من جيوش الروم كما صدها وردھا من قبل .

ثم رحل إلى القدس وعاش بها إلى أن توفي عثمان بن عفان بعد الفتنة التي أشعلها ضده (عبد الله بن سبا) وظل على مكانة كبيرة بين المسلمين لحب رسول الله له حتى أن رسول الله ﷺ قال عنه (أسلم الناس وأمن عمرو بن العاص) (١) ويقول أبي هريرة رضي عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "عمرو بن العاص من صالحي قريش نعم أهل البيت أبو عبد الله وأم عبد الله وعبد الله" (٢) وكان من أدهى رجال العرب لقول المغيرة بن شعبه (معاوية وعمرو وزياد من دهاء العرب . فأما معاوية فللأناة والحكم ، وأما عمرو فاللمعضلات. وأما المغيرة للمبادهة . وأما زياد فللصغير والكبير) (٣).

وعن فضل عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : "ابنا العاص مؤمنات" ولقول رسول الله ﷺ : "اللهم صلى على عمرو بن العاص فإنه يحبك ويحب رسولك" .

وكان عمرو بن العاص لا يحب إلا العمل الصالح والكسب الحلال لذلك أكثر الله ماله فقال رسول الله ﷺ عنه وعن ماله (نعم المال الصالح للرجل الصالح) (٤)

١- دهاء العرب ٤٥ .

٢- رواه الترميذي ٣٨٧١ .

٣- سير أعلام النبلاء ٤٢٢٣م .

٤- رواه أحمد ١٩٧م .

فكان رسول الله ﷺ إذا دعا الناس للصدقة جاء أول الناس وأكثر الناس مالا ينفقه لذلك كان رسول الله ﷺ يقول له "أمالك هذا". فكان يقول: "من عند الله" فقال رسول الله ﷺ: "صدق عمرو إن له عند الله خيراً كثيراً".

وكان كثيراً ما يعاتب نفسه ويقول لها: (إني أصلحت من دنياي قليلاً وأفسدت من ديني كثيراً فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت والذي أفسدت هو الذي أصلحت لفزت) (١)

وها هو يعود إلى مصر بعد وفاة عثمان بن عفان بعد أن أغار الرومان على مصر من جديد بسبب ضعف ما أعقبه من الولاة يفتحها مرة ثانية ويعيش بعد أن أعاد فتحها عام ٣٨هـ بعد أن غاب عنها (اثنتي عشرة) عام، وظل مقيماً بها إلى أن توفي يوم عيد الفطر من عام ٤٣هـ بعد أن عاش من العمر ما يقارب السبعين عام ودفن بحبل المقطم بمصر إلا أن قبره لم يكن معروفاً لأهل مصر حتى الآن ولا يدري أحد ما هو السبب في ذلك.

وعاش عمرو بن العاص راهداً عابداً له العديد (٢) من صفات الرجال الصابرين العابدين.

وقيل أن بعد أن ولي معاوية أمر المسلمين بعد مقتل سيدنا علي بن أبي طالب ويعد أن تنازل له الحسن أنه كتب لعمر بن العاص عهداً منه أن

١- دهة العرب ٥١ .

٢- دهة العرب ٥١ .

يكون على ولاية مصر لمدة سبع سنين إلا أن عمرو بن العاص مات بعد هذا العهد وبعد أن عاد والياً على مصر بثلاث سنوات . رحم الله عمرو بن العاص داهية العرب وفصيح العرب فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب إنا وجد رجلاً يتلجلج في الكلام قال : سبحان الله (هذا خالقه خالق عمرو بن العاص)^(١)

وتولى مصر من بعد عزل عمرو بن العاص الصحابي الجليل 'عبد الله بن أبي السرح' أخو سيدنا عثمان بن عفان من الرضاعة وظل عبد الله بن أبي السرح والياً على مصر إحدى عشرة سنة فتح خلالها العديد من المدن الإفريقية .

ثم تولى بعده محمد بن أبي حذيفة بن عتبة^(٢) وقيل أنه غدر بعقبة بن أبي عامر أحد قادة عبد الله بن أبي السرح إلى أن تولى ولاية مصر .

ومن ولاة مصر القيس بن سعد وقد ولاه سيدنا علي بن أبي طالب على مصر بعد مقتل عثمان بن عفان وبعد أن أخذ سيدنا علي بن أبي طالب البيعة من الناس بخلافة المسلمين .

ومن ولاة مصر من الصحابة الأشتر النخعي . ومحمد بن أبي بكر الصديق عام ٣٧هـ ثم عودة ولاية عمرو بن العاص لولاية مصر ، ثم عتبة بن أبي سفيان ثم مسلمة بن مخلد ، ثم سعيد بن يزيد ، ثم عبد الرحمن بن جحدم في خلافة عبد الله بن الزبير عام ٦٥هـ ثم عبد العزيز بن مروان الأموي عام ٦٦هـ أبو الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذي ملأ الأرض عدلاً من عام ٦٦هـ إلى ٧٠هـ وظل بمصر إلى أن أصابها الطاعون فخرج إلى حلوان وأقام بها الدور والمساجد وظل بها عشرين عاماً ولد خلالها عمر بن عبد العزيز بمصر .

١- سير أعلام النبلاء ص ٤٢٣٢ .

٢- مصر ١١٩ .

من الصحابة الذين دخلوا مصر

لقد دخل عدد كبير من الصحابة مصر نذكر منهم :

١. عمرو بن العاص بن وائل السهمي .

٢. المقداد بن عمرو .

٣. المقداد بن الأسود .

٤. عبادة بن الصامت .

٥. الزبير بن العوام .

٦. أبو الدرداء .

٧. فضالة بن عبيد .

٨. عمرو بن علقمة .

٩. شرحبيل بن حسنة .

١٠. سعد بن أبي وقاص .

١١. عبد الله بن حذافة .

١٢. عبد الله بن عمرو بن العاص .

١٣. محمد بن مسلمة .

١٤. أبو رافع .

١٥. مسلمة بن مخلد .

١٦. أبو أيوب الأنصاري .
١٧. خالد بن زيد .
١٨. نافع بن مالك .
١٩. عقبة بن نافع .
٢٠. معاوية بن خديج .
٢١. عمار بن ياسر .
٢٢. خالد بن الوليد وكثيرون .

رسالة عمرو بن الخطاب إلى نيل مصر

عندما دخل عمرو بن العاص مصر وفتحها عام ٥٢٠ هـ ٦٤٠ م وجد أن لأهل مصر عادةً وهي عندما يأتي شهر بؤونه من كل عام يزينون فتاةً جميلة تسمى (عروس النيل) من أجمل فتيات مصر و يقيمون حفلاً كبيراً ثم يلقون هذه الفتاة بعد هذا الحفل في النيل . فلما سئل عن ذلك قيل له: أنهم يفعلون كل ذلك تقريباً إلى النيل كي يزيد عليهم خيراً وبركة فتألم عمرو بن العاص من هذه البدعة وأن الإسلام لا يقر ذلك وظل أهل مصر يلحون على عمرو بن العاص أن يقيموا هذا الحفل للنيل بأن يلقوا في الثاني عشر من شهر بؤونة فتاة بكر جميلة بعد أن يعوضوا أبويها بالمال كي يفيض النيل كعادته ، لكن عمرو بن العاص لم يستجب لإلحاحهم وظل هذا الأمر يس الإصرار من جانب المصريين والرفض من جانب عمرو بن العاص أربع أشهر من (بؤونة وأبيب ومسرى) .

فما كان من عمرو بن العاص إلا أن أرسل برسالة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعرض عليه هذا الأمر من عادات أهل مصر . فما كان من عمر بن الخطاب إلا أن أرسل برسالة إلى عمرو بن العاص قائلاً له : " إذا وصلك خطابي هذا فألقى به في النيل " .

بعد أن شكره على منعهم ذلك قائلاً له لقد أصبت بما فعلت وقد كتب

عمر بن الخطاب رسالة إلى نيل مصر . له نـ

نص رسالة سيدنا عمر إلى نيل مصر :

من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر

(أما بعد

فإن كنت تجرى من قبلك ومن أمرك فلا تجرى فلا حاجة لنا فيك وإن كنت تجرى بأمر الله الواحد القهار، وهو الذي يجزيك فنسأل الله تعالى أن يجزيك^(١).

وألقى عمرو بن العاص هذه الرسالة في نيل مصر وكان ذلك يوم الجمعة وفي صباح اليوم التالي السبت وجدوا أن النيل قد زاد ستة عشرة ذراعاً وهي زيادة لم يسبق للنيل أن زادها لا من قبل ولا من بعد إلى يومنا هذا ، ومنذ ذلك الوقت انقطع أهل مصر عن هذه العادة السيئة .

وظل الاحتفال بأعياد النيل مستمرة تقديراً له ولكن دون إلقاء فتاة في النيل ومن أهم وأشهر هذه الأعياد (عيد وفاء النيل) الذي مازال يحتفل به منذ عهد الفاطميين إلى يومنا هذا وإن اختلفت مظاهر الاحتفال .

إلا أن من مظاهر الاحتفال بعيد النيل بعد الإسلام قد تغيرت كثيراً ، فتد يجمع الناس عند أحد مقاييس النيل بمسجد مقياس النيل بالقاهرة ويقرؤون القرآن الكريم ويختم القرآن بهذا المسجد شكراً لله على فضله وعند ختم القرآن يخرج الخليفة ليضع العطور من المسك والزعفران على مقياس

١- البداية والنهاية ص ٧٠٠ .

الذيل واهب الخير والنماء لمصر ويصلى الحاضرين ركعتان شكرًا لله ﷻ ثم يوزع على الحاضرين من الهدايا والعطايا فرحًا بهذا اليوم بأن خص الله مصر بهذا النهر رسول الخير وعملاً بقول الله تعالى :

﴿... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...﴾^(١)

وواصل الأيوبيون احتفالاتهم بأعياد النيل كما ذكر القلقشندي والمقريني^(٢)

ومن أشهر الذين اهتموا من الأيوبيين بعيد النيل : "الظاهر بيبرس" .
وواصل العثمانيون بعد ذلك هذه الاحتفالات وإن اختلفت مظاهر الاحتفال .
وأكثر مظاهر هذه الاحتفالات هي الإحسان إلى الفقراء والمساكين .
ومن الأعياد التي تقام للنيل "عيد الغطاس" عند النصارى وهو يوم الحادي عشر من طوبة وكانوا يحتفلون بهذا العيد قبل دخول الإسلام مصر وهم مازالوا على ذلك إلى يومنا هذا يحتفلون بهذا العيد لأنه من الشعائر والطقوس الدينية عندهم وكانوا قديمًا يشعلون المصابيح على شواطئ النيل لعل روح الإله (أنوريس) تهتدي إلى ضوء هذه المصابيح^(٣)

أيًا كانت العصور والأديان فما زال للنيل مكانة كبيرة عند المصريين خصوصًا الفلاحين لارتباط حياتهم بالنيل فكلما زاد النيل شعر الفلاح

١- سورة الأنبياء : من الآية ٣٠ .

٢- النيل في المكتبة العربية ١٦٣ .

٣- مهر النيل ص ١١٤ .

بالفرح والابتهاال، وقد عثر في الروايات المصرية وبردبات القدماء على هذه الرسالة من أحد الفلاحين إلى النيل يقول له فيها.

" السلام عليك أيها النيل . الذي يخرج من الأرض ليغذى مصر . والذي يخرج من الظلمات إلى النور يسقى الحيوان . والحقول . وقد خلقك رع لتطعم القطاع . أنت تروى حتى الصحراء البعيدة من كل ماء .

مادام الكل هو الذي ينزل من السماء وإذا نقصت . هزل الناس . وزالتا القرابين وماتت الملايين ، وإذا ارتفع النيل كانت الأرض في سرور، وكانت المعد في صبور وضحكت الظهور وابتسمت الثغور وجرت السفن لتعذر صنعها من الحجارة ومن ذا الذي يجروُن أن يشبهك بالبحر الذي لا يخرج . حبًا أيها النيل الكريم الذي يروح المروج ويهب القوة للناس أنت سيد الدنيا .

وقد أيقن القدماء أن هذا النيل مرتبطاً بالكواكب والنجوم والأبراج مثل أبراج (السرطان ، العقرب ، الحوت ، الأسد، الدلو) فهو يزيد عند قرب كوكب الزهرة بالقمر وعطارد بالقمر.

١. وذكر المقرئني أحوال الشمس بالقرب من السرطان ينظر إلى كوكب (الزهرة ، عطارد ، والقمر) فإن كان في سيرهما الأكبر دل هذا على فيضان النيل^(١).

١- النيل في المكتبة العربية ص ١٤٥ .

٢. وإذا كانت الشمس في برج الحمل وكل من القمر أو الأسد والقوس
نزل بهم القمر دل هذا على قلة الماء في نهر النيل .
٣. وإذا كان القمر في برج الثور أو السنبله أو الجدي دل ذلك على
توسط ماء النيل لا زيادة ولا نقصان .
٤. وإذا كان القمر في برج السرطان أو العقرب أو الحوت أو برج
الجوزاء والميزان .. دل ذلك على كثرة منافع النيل هذا العام .
٥. ويذكر المقرئني عن عجائب النيل أن أهل مصر كانوا يعجنون
عجينًا من دقيق أو من طين ليلة الثاني عشر من بؤونة ويزنوا هذا
العجين عقب عجنه . ثم يزنوه في الصباح فتكون زيادة النيل بقدر
الزيادة التي زادها العجين وذكر المقرئني أنه جرب هذا الأمر بنفسه .

وليلة الثاني عشر هي ليلة نزول النقطة فليل أنها :

- إذا نزلت يوم السبت زاد النيل ٢٣ ذراع .
- إذا نزلت يوم الأحد زاد النيل ٢٠ ذراع .
- إذا نزلت يوم الاثنين زاد النيل ١٢ ذراع .
- إذا نزلت يوم الثلاثاء زاد النيل ١٩ ذراع .
- إذا نزلت يوم الأربعاء زاد النيل ١٨ ذراع .
- إذا نزلت يوم الخميس زاد النيل ٢٢ ذراع .
- إذا نزلت يوم الجمعة زاد النيل ١٨ ذراع .

رسالة النبي إلى المقوقس

بعد أن بلغ رسول الله ﷺ رسالة ربه وشعر بقرب أجله وأنه سيلحق بالرفيق الأعلى ﷻ أخذ يوجه الرسل والرسائل إلى ملوك وسلاطين وأمراء البلاد ورؤساء وشيوخ القبائل ومن الرسائل التي أرسل بها رسالته إلى (جريح القبطي بن مينا)^(١) والمعروف بالمقوقس أرسل هذه الرسالة مع الصحابي الجليل "حاطب بن أبي بلتعة" وعندما وصل حاطب بن أبي بلتعة إلى الإسكندرية عاصمة مصر وقتئذ وكانت مقر حكم الرومان وعزيز مصر المقوقس .

وقدم حاطب الكتاب إلى المقوقس فقبل المقوقس رسالة رسول الله وأكرم نزل حاطب بن أبي بلتعة مرسل رسول الله ﷺ وكان نص هذه الرسالة^(٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم ..

من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإنني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين . وإن توليت فإنما عليك إثم القبط (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ...) ^(٣) .

١- البداية والنهاية ص ٤٦٣٩ م ٤
٢- نور اللبيقين ص ٢٩٣ .
٣- سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

ولما فتح المقوقس هذه الرسالة وقرأ ما فيها قال المقوقس ما منعه إن

كان نبياً أن يدعو على من حالفه وأخرجه من بلده ؟

فقال حاطب . ألسنت تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله . فما له حين

أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه
الله إليه ؟

فقال المقوقس : أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ، ثم قال إني

قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدت أنه لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن
مرغوب فيه ، ولم أجد بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه أله
الذبوة ، إخراج الغائب المستور والإخبار بالنجوى وسأنظر^(١) .

وذلك لأن المقوقس قد قرأ صفات الرسول ﷺ والبشارات به في التوراة

والإنجيل وقال حاطب بن أبي بلتعة للمقوقس قبل أن ينصرف :

(إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود

وأقربهم النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى عليهما السلام إلا كبشارة

عيسى بمحمد ﷺ وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى

الإنجيل وكل نبي أدرك قومًا فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه ممن أداك هذا

النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ﷺ ولكننا نأمرك به^(٢)) وترك حاطب بن

أبي بلتعة المقوقس ليأخذ قراره ويعود إليه بعد يوم أو يومين وبعد أن استشار

١- نور البتس ٢٩٣

٢- مصر ١١٢

المقوقس كبار الأساقفة فمنهم من رفض الدخول في هذا الدين خشية ضياع الملك والمنصب ، ومنهم من أمن وصدق بما في الإنجيل من بشارات . ثم انتهى المقوقس إلى أن دعا له كاتب من الذين يكتبون العربية وأملاه رده على رسالة رسول الله ﷺ وكان هذا هو نص رد المقوقس على رسالة رسول الله .

(بسم الله الرحمن الرحيم . لحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط . سلام عليك . أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه . وقد علمت أن نبياً قد بقى وكنت أظنه يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط . وبثياب وأهديت إليه بغلة تركيها والسلام)^(١)

وأرسل المقوقس مع هذه الرسالة غلام خصي أسمه (مابور) وخفين سانجين أسودين وبغلة بيضاء أسمها (الدل) ^(٢)

وكانتا الجاريتين اللتان أهداهما المقوقس عظيم القبط في مصر إلى رسول الله ﷺ هما :

١ . مارية بنت شمعون القبطية .

٢ . سرين بنت شمعون أختها .

وتزوج رسول الله ﷺ مارية القبطية بنت شمعون ليحل للمسلمين الزواج بنساء النصراني لعلهن يدخلن الإسلام .

١- نور اليقين ١٩٤ .
٢- البداية والنهاية ص ٤٦٤٠ م .

وأهدى رسول الله ﷺ أختها إلى شاعره (حسان بن ثابت) (١)
 وكانت مارية القبطية قد وهبها الله جمالاً وحسناً كبيراً حتى كانت
 زوجات الرسول ﷺ (يعرن) مثل باقى النساء منها .
 وقيل أن مارية القبطية أسلمت وهى فى الطريق إلى مصرهى وأختها ،
 وكان هذا الزواج يذكر رسول الله ﷺ بزواج خليل الرحمن سيدنا إبراهيم الخليل
 عندما تزوج المصرية (هاجر) أم نبي الله إسماعيل عليهما السلام .
 وبالفعل حملت مارية القبطية من رسول الله ﷺ بغلام ولدته له وسماه
 رسول الله ﷺ (إبراهيم) على اسم جده إبراهيم عليهما السلام .
 وعندما ولدت له هذا الغلام تذكر رسول الله ﷺ بشارة الله ﷻ لسيدنا
 إبراهيم بابنه إسماعيل بعد أن ظل عقيم أكثر من ستة وثمانون عام .
 يقول الله تعالى:

﴿... قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَالِمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَّةٍ
 فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ
 إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ (٢)

فقالت مارية القبطية بعد أن سمعت هذه الآيات لكن لست عجوزاً يا
 رسول الله ﷺ .

١- مصر ١١٣ .
 ٢- سورة الذاريات : من الآية ٢٨ : ٣٠ .

وكان مولد إبراهيم بن رسول الله من مارية في ذي الحجة من عام ٨ هـ وأرضته لرسول الله "أم بريدة بنت المنذر بن يزيد بن النجار" هذا ولم ينجب رسول الله من زوجاته منذ أكثر من عشرين عامًا ولم يكن له أولاد من أحدهن إلا من أم المؤمنين خديجة .

فولدت له (القاسم - زينب - رقية - أم كلثوم - فاطمة- عبد الله) وأنجبت له مارية (إبراهيم) هذا وكان رسول الله ﷺ شديد الفرحه به وكان يحب أهل مصر لهذا النسب وهذه المصاهرة ويوصى أصحابه بأهل مصر لقول رسول الله ﷺ :

(استوصوا بالقبط أخوال إبراهيم بن رسول الله خيرًا . فإن لهم ذمة ورحما) وأعتق رسول الله مارية بنت شمعون بعد أن ولدت له ابنه إبراهيم . إلا أن إبراهيم بن رسول الله ﷺ مات بعد مولده بثمانية عشرة شهراً وهو طفل رضيع وحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً ، وقد حزن عليه وقال (إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع وأنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون) .

وقد تصادف يوم موت إبراهيم ابن رسول الله أن كسفت الشمس في هذا اليوم، فقال البعض: لقد كسفت الشمس حزناً على موت إبراهيم بن رسول الله .

فلما بلغ ذلك رسول الله غضب ثم صعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله .

ثم قال (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته).

وقد بكت مارية القبطية على وفاة إبراهيم ابنها فقال لها رسول الله ﷺ (لا تبكى إن له مرضع في الجنة).

وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال (لوعاش إبراهيم لوضعت الجزية عن أهل مصر).

وقد عاشت أم المؤمنين مارية إلى زمن خلافة سيدنا عمر بن الخطاب وماتت بعد وفاة رسول الله بخمس سنوات أي في العام ١٦ هـ ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ.